

نشأة السينما الجزائرية النضالية 1957 - 1962 ومساهمتها في توثيق الثورة التحريرية المجيدة

The emergence of Algerian militant cinema 1957-1962 and its contribution to the documentation of the glorious liberation revolution

نبيلة لرباس*¹

¹ المركز الجامعي مرسلي عبد الله - تيبازة - الجزائر، larbes.nabila@cu-tipaza.dz

تاريخ النشر: 2024/06/20

تاريخ القبول: 2024/04/02

تاريخ الاستلام: 2023/09/24

ملخص:

لقد كانت السينما الجزائرية النضالية من سنة 1957 إلى سنة 1962 وسيلة من وسائل المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي، تمثل هدفها في تصوير ظروف سير الثورة الجزائرية والتعريف بها و كذا فضح جرائم الاستعمار الفرنسي من خلال انجاز عدد من الأفلام الوثائقية الثورية القصيرة. ظهرت هذه السينما كرد فعل على الدعاية الاستعمارية، والمتمثلة في الأفلام الوثائقية السينمائية الكولونيالية، التي عملت على تزييف التاريخ وتشويه صورة المجتمع الجزائري. إن الهدف من هذا المقال هو إبراز دور الأرشيف السمعي البصري الجزائري في كتابة التاريخ و الحفاظ على الذاكرة الوطنية للمجتمع و كذا إظهار أهمية الأفلام الوثائقية النضالية و ما تحمله من قيمة إعلامية و حقائق تاريخية، باعتبارها أداة منهجية في الدراسات التاريخية و مصدرا مهما في التأريخ للثورة التحريرية الجزائرية.

كلمات مفتاحية: السينما النضالية، الثورة الجزائرية، الأفلام الوثائقية، السينما الكولونيالية، الأرشيف السمعي البصري.

Abstract:

Algerian revolutionary cinema was a means of cultural resistance to French colonialism from 1957 to 1962. Its aim was to depict the circumstances of the unfolding of the Algerian revolution and to denounce the crimes of French colonialism through the production of a certain number of short revolutionary documentaries. This cinema emerged as a response to colonial propaganda, represented by colonial film documentaries, which worked to falsify history and distort the image of Algerian society. The objective of this article is to shed light on the role of Algerian audiovisual archives in the writing of history and the preservation of the national memory of society, and to highlight the importance of revolutionary documentary films in the historiography of the war of national liberation, and to show the informational and historical value it holds on the subject of the Algerian revolution as a methodological tool in the study of history.

Keywords: Struggle Cinema, Algerian Revolution, Documentary film, Colonial cinema, Audiovisual archives.

* المؤلف المرسل: نبيلة لرباس الإيميل: larbes.nabila@cu-tipaza.dz

مقدمة:

تعتبر المصادر بالنسبة للباحث في التاريخ المادة الأولية في دراسته و هي تمثل مجموع الحقائق والمعلومات التاريخية التي يجمعها من أجل البحث العلمي، تتنوع هذه المصادر باختلاف طبيعة المادة التاريخية التي تتضمنها و طريقة استخلاصها، فهناك الآثار المادية و المكتوبة و الروايات الشفوية، و تعتبر الوثائق الأرشيفية السمعية البصرية هي الأخرى مصدرًا مهمًا للتراث و ذاكرة الشعوب و الأمم، و الصورة الفيلمية هي انعكاس صادق للواقع و وسيلة مهمة لتوثيق مرحلة ماضية لأجيال صاعدة لم تعيش الأحداث.

لقد كان للسينما الكولونيالية مساهمة في تصوير عدد من الأفلام الوثائقية في الجزائر منذ نهاية القرن التاسع عشر و استمرت إلى غاية سنة 1962، تنوعت مواضيع هذه الوثائق الأرشيفية المصورة (الاستعمارية) من العادات و التقاليد، الحياة الاجتماعية، الفلكلور، السياحة، المناظر الطبيعية الجزائرية الخلابة و "المهمة الحضارية للاستعمار الفرنسي"... هدفها ترسيخ خطاب إيديولوجي و رسالة ثقافية استعمارية، كما كان لها أغراض عسكرية تعمل على تحقيقها من أجل الهيمنة و السيطرة على الجزائر و تمجيد الاستعمار و فكرة "الجزائر فرنسية" و كذا استعمال كل الوسائل لإخماد الثورة التحريرية.

ظهرت السينما الجزائرية النضالية في منتصف القرن العشرين، استجابة لحاجة الثورة التحريرية و كوسيلة للمقاومة و التحرر لا للتسلية و الترفيه، كما كانت وسيلة إعلامية مضادة للدعاية الاستعمارية من أجل فضح أساليب العدو و الكشف عن جرائمه الوحشية ضد الشعب الجزائري الأعزل. ترتبط هذه السينما ارتباطاً مباشراً بالواقع النضالي و هي ليست مثل الكولونيالية متنوعة المواضيع، و إنما غلب عليها الطابع العسكري المحض للثورة على حساب الطابع السياسي، هدفها التعريف بالقضية الجزائرية العادلة و إسماع صوت الجزائر في المحافل الدولية و تأسيس أرشيف سمعي بصري خاص بالثورة التحريرية و نضال الشعب الجزائري، و منه نطرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى ساهمت السينما الجزائرية النضالية في كتابة تاريخ الثورة التحريرية من 1957 إلى 1962؟ و ما أهمية الفيلم الوثائقي الجزائري في الوصول إلى الحقيقة التاريخية؟ و هل يمكن الاعتماد على الصورة الفيلمية كوثيقة أساسية في الدراسات التاريخية؟

1 - لمحة حول الأفلام الوثائقية الكولونيالية عن الجزائر

1 - 1 - تعريف الفيلم الوثائقي

يرجع تاريخ الفيلم الوثائقي إلى أواخر القرن التاسع عشر و بالتحديد نهاية سنة 1895، أي مع بدايات ظهور الفن السينمائي العالمي، على يد الأخوين الفرنسيين لوي و أوغست لوميير Les Frères Lumière، اللذين

قدما عرضاً لمدة دقيقتين وبضع ثوانٍ، إنها الأشرطة الأولى، و مثلت أولى الصور من تاريخ السينما، غلب عليها الجانب الإخباري، من بين عناوينها " الخروج من مصانع لوميير و وصول القطار إلى المحطة (Institut Lumiere, 2021).

ولد هذا المصطلح من رحم الممارسة المبكرة، فحين بدأ رواد الأعمال لأول مرة في تسجيل أفلام لأحداث من واقع الحياة، " أطلق البعض على ما كانوا يصنعونه أفلام وثائقية، بيد أن المصطلح ظل غير ثابت لعقود، وأطلق آخرون على أفلامهم " تعليمية " و "واقعية " و "تشويقية"(باتريشيا، 2013، ص.11). مع بداية القرن العشرين، بدأ يتشكل المفهوم الأولي للفيلم الوثائقي و كان قد سمي *بالعرض الوثائقي* سنة 1907، ثم *الفيلم الوثائقي* بعد 07 سنوات، لكن مع ذلك ظل تصنيف هذا الفن الحديث مبهماً، " بسبب محدودية التقنيات و الوسائل السينماتوغرافية آنذاك و لأن ذلك المفهوم ظهر في فرنسا و لم يتم تقبله بعد في العالم. كانت أولى الأفلام الوثائقية خلال تلك الفترة مقتصرة على قصص المعارك و الحروب"(أبو الحسن، 2015، ص.32)، و للعلم أنه تم استعمال لأول مرة كلمة فيلم وثائقي Film Documentaire من طرف الفرنسيين للإشارة إلى أفلام الرحلات (حديدي، 1982، ص. 12)، و يعني في الاصطلاح الفرنسي Film Documentaire « أن الفيلم وثيقة عن المكان أو الحدث أو الشخص الذي يتناوله، ولهذا يفضل بعضهم ترجمته إلى الفيلم الوثائقي بدلاً من الفيلم التسجيلي »(حديدي، 1982، ص.32).

أمّا المفهوم الإنجليزي لتعريف الفيلم الوثائقي Documentary Film فهو لا يكتفي بتسجيل الحقيقة الواقعة وحدها و إنما يضيف إليها الرأي أيضاً. سنة 1920، ظهر التعبير الإنجليزي Documentary Film، مع الناقد والمخرج الوثائقي و أول من حاول وضع تعريف للفيلم الوثائقي جون جريسون John Grierson - أبو السينما الوثائقية وواضع قواعدها ونظرياتها- حيث ظهر الفيلم الوثائقي للناس بمواصفات محددة في مقال نشره في جريدة « The New York Sun » الأمريكية سنة 1926، لتمييزه عن غيره من الأفلام الروائية، معتبراً أن الفيلم الوثائقي هو « المعالجة الخلاقة للواقع » (حديدي، 1982، ص.32)، و أن السينما لها إمكانية مراقبة و تصوير الحياة الواقعية و يمكن استغلالها في شكل جديد للفن و هي الأفلام الوثائقية، و فيها نجد أن المشهد الأصلي و الممثل الأصلي هي أدلة أفضل و أكثر مصداقية من غيرها من الأفلام(قاسم، 2019، ص.205).

بعد سنوات الحرب العالمية عرف الفيلم الوثائقي تراجع كغيره من الفنون رغم تواجد مهم لأفلام الدعاية والتحريض المتبادل أثناء الحرب. ومع بداية الخمسينيات عاد الفيلم الوثائقي بقوة وعرف طفرة في كل العناصر المشكلة له حيث تطورت التقنيات والوسائل وتتنوع المواضيع التي تعالجها هذه الأفلام. خلال الثمانينات وبداية

التسعينات أصبح للفيلم الوثائقي مكانة وقيمة كفن راقي و رسالة مهمة واقترن هذا التطور مع الثورة الإعلامية والتقنية ومع ظهور عدد كبير من شركات الإنتاج كل ذلك منح صناع الأفلام الوثائقية هامش كبير من الإبداع و الطرح الوثائقي (حديدي، 1982، ص.33).

أما في الأدبيات العربية، فقد كان "سعد نديم" - أحد رواد السينما المصرية - أول من ترجم هذا التعبير إلى اللغة العربية مستخدماً اصطلاح "الفيلم التسجيلي"، على اعتبار أنه يقوم على تسجيل الواقع، وانتشر هذا المصطلح في الأدبيات العربية وبخاصة المصرية، غير أن المشاركة يفضلون استخدام مصطلح الفيلم الوثائقي على اعتبار أن ميزة التسجيل لا تقتصر على هذا النوع من الأفلام فقط، فحتى الفيلم الروائي يقوم على تسجيل أحداث على شريط فيديو، وهكذا انتشر مصطلح الفيلم الوثائقي خاصة بعد ظهور قناة "الجزيرة الوثائقية" (كوبيبي، 2018، ص. 03). في المدرسة العربية ظهر تعريف موسع للفيلم التسجيلي: « هو شكل مميز من الإنتاج السينمائي، يعتمد أساساً على الواقع في مادته و تنفيذه، لا يهدف إلى الربح المادي، بل يهتم بالدرجة الأولى بتحقيق أهداف ترتبط بالنواحي الإعلامية و التعليمية أو الثقافية أو حفظ التراث و التاريخ » (كوبيبي، 2018، ص. 04).

إذا أردنا تعريف الأفلام الوثائقية فهي أحد أنواع الأفلام السينماتوغرافية، "تسجل واقع الحياة اليومية كما هو في الحقيقة، و منه فالمعلومات الموجودة في الفيلم الوثائقي تكون حقيقية غير مزيفة أو مصطنعة، فهو وثيقة تاريخية و الهدف منه هو المعرفة، لذا سمي الفيلم الوثائقي عبر مراحل تطوره كذلك بالفيلم التعليمي و العلمي" (حديدي، 1982، ص.32)، بهذا المعنى يصنف الفيلم الوثائقي ضمن الأفلام الحقيقية أي أنه غير خيالي Non fiction بخلاف الأفلام الدرامية و الروائية التي تصنف على أنها خيالية Fiction أي أنها مبنية على الخيال أساساً أو على قصص واقعية و لكن بمعالجة و سياقات مصطنعة، و لكي يكون الفيلم الوثائقياً يجب أن يتناول (أشخاص) حقيقيين، (قضايا) حقيقية في (سياق) حقيقي، أي أنه غير روائي و ليس خيالياً، لإيصال رسالة محددة (عيسى، 2020، ص. 25).

يعالج الفيلم الوثائقي "كل أشكال المواضيع الحياتية و الوقائع (العلمية، التاريخية، الطبيعية...) سواء الحالية أو الماضية أو حتى المستقبلية، و يكون ذلك بشكل موضوعي، يعتمد فيه صانعه على مواد و وثائق و أبحاث موثوقة المصدر، و هو يعتمد على توثيق و عرض الواقع دون تحريف، و يستخدم الحياة الواقعية كمادة خام يقوم ببنائها الفنانون والتقنيون، و يعتبر في كثير من الأحيان مادة علمية يرجع إليها في بعض الدراسات و الأبحاث و المختصين" (حديدي، 1982، ص.29)، و عليه فالفيلم الوثائقي هو منجز سمعي بصري ينقل الوقائع و الأحداث و يقوم بتسجيلها و التأريخ لها (غمشي، 2018-2019، ص. 13-14).

منذ سنة 1945 تزايد إنتاج الوثائقيات و المستجندات الإخبارية حول المستعمرات الفرنسية بصفة عامة و حول الجزائر بصفة خاصة، و كانت هذه الأخيرة تشكل الجزء الأكبر من الإنتاج السينمائي الفرنسي، و منه فما هو محتوى هذه الأفلام و ما هي خصائص السينما الكولونيالية ؟

1 - 2 - الدعاية الاستعمارية من خلال الفيلم الوثائقي الفرنسي

إن بدايات الفن السينمائي في الجزائر مرتبطة بظهور السينما العالمية سنة 1895، و ذلك بعد انجاز أولى الأفلام السينمائية القصيرة في الجزائر و التي أدرجت ضمن ما سُمي " بالسينما الكولونيالية " أو " السينما الاستعمارية "، أما السينما الجزائرية فظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين سنة 1957 و المتمثلة في السينما النضالية أو الثورية أي تلك المرتبطة بالثورة التحريرية و خاصة بعد تأسيس المدرسة السينمائية الجزائرية.

لقد كانت بداية السينما في الجزائر على يدي الأخوين لوميير، بعد ما تم إرسال عدد من المخرجين السينمائيين الفرنسيين إلى الجزائر من أجل تصوير الأفلام القصيرة و الوثائقية حول المناظر الطبيعية الخلابة و حفلات الزواج...، في هذا الصدد تم تكليف " صائدو الصور " فليكس مسغيث Felix Mesguiche بالتوجه إلى الجزائر - مكان ولادته- لالتقاط مشاهد حيّة عن مدنها و سكانها (Megherbi, 1982, P.14). كما كان لألكسندر بروميو Alexandre Promio دور مهم في تصوير الجزائر، كان ذلك قبل فليكس مسغيث، من خلال إنجاز عدد من الأفلام الوثائقية حول الجزائر أهمها "ساحة الحكومة" سنة 1896، يبرز لنا المخرج من خلال هذا الفيلم "الانجازات" - حسب زعمها- التي قامت بها السلطات الفرنسية في الجزائر و التأكيد على الرسالة الحضارية فيها (Aubert, 1996).

تعتبر السينما في الجزائر أو تلك الكولونيالية عن التوجه الاستعماري الذي يبحث في الواقع الجزائري لا لتعريفه وحسب، ولكن لمحاولة كسره و تشويه هويته، تلك التي تحتاجها العقلية الاستعمارية الاستعلائية، إذ لا يمكن أن تتشكل استعلائية المستعمر من دون شعور المستعمر بالدونية والنقصان و السخرية من الجزائري، من بينها أفلام المخرج جورج ملباس Georges Méliès «المسلم المضحك» Le musulman rigolo، و «علي يأكل الخبز بالزيت» و علي باربويو Ali Barbouyou (بن جلوي، 2016).

إن السينما الكولونيالية هي سينما استعمارية، جلبها الاستعمار الفرنسي أو أنتجها في الجزائر، مستغلا فضاءها ديكورا و مكرسا وظيفتها الإيديولوجية و توجهها الاستعماري الرامي بالدرجة الأولى إلى تزيين صورة المحتل و تصويره جالبا للحضارة و التمدن، و كانت الشخصية الفرنسية حاضرة بقوة في هذه الأفلام

الوثائقية(منصور، 2012-2013، ص. 27)، من خلال تقديم صورة نمطية، عمدت الهيئات القائمة على السلطة آنذاك على تشكيلها وفقا لمنهجية مدروسة تتميز بالسخرية و الاستهزاء و الحط من قيمة الجزائري و احتقاره و تصويره بأبشع الصور (رأس المال، 2016، ص. 87).

إن الصورة التي رسمتها السينما الاستعمارية للبيئة الجزائرية، هي لوحة فلكلورية نمطية، فالسينمائيين الاستعماريين لم يثر انتباههم في الجزائر غير شمسها و هوائها، و مناظرها الطبيعية الخلابة، طابعها الفلكلوري، و الصحراء و ألعاب الفروسية الفانتازيا و حفلات الزواج التقليدية في المدن و الأرياف...، و كأن هذا المجتمع خال من الحياة الاجتماعية(بتقة، 2012، ص. 12)، لقد عُرفت هذه الأفلام في بداية ظهورها "بالأفلام الغرائبية" Film Exotique التي تتخذ من الطبيعة الجزائرية ديكورا و مجالا فنياً للتصوير السينمائي، في هذا نوع من الأفلام يصور فيها الفرد الجزائري على أنه "كائن غريب لا يمكنه التفكير مقارنة مع الأوروبي" (سعد الله، 1998، ص. 302).

في مرحلة لاحقة أصبحت السلطات الاستعمارية تستعمل السينما كوسيلة للدعاية، من أجل تمرير خطاب إيديولوجي خاص بها، و لذلك تم تأسيس مصلحة البث السينماتوغرافي " Service de diffusion SDC Cinématographique سنة 1943 (سباستيان، 2013، ص. 43)، و كذا المصلحة الجزائرية للسينما Service Algérien du Cinéma S.A.C. و هي كأداة عمل في إطار الحرب النفسية، لإبراز قوة الاستعمار الفرنسي العسكرية (Megherbi, 1982, P. 42)، إضافة إلى مساهمة الأخبار الفرنسية Les Actualités Françaises و مصلحة السينماتوغرافيا للجيش Service Cinématographique des Armées S.C.A. و غيرها من التنظيمات و المراكز السينماتوغرافية، التي ساهمت في انجاز أفلام وثائقية مختلفة حول الجزائر و أغلب المستعمرات الفرنسية، و ما يلي نماذج من الأفلام الوثائقية الكولونيالية، نذكر:

- "مشرية" Mechria من إخراج ألكسندر بروميو Alexandre Promio هدفه التعريف بالمنطقة من حيث سكانها و عاداتهم و تقاليدهم و إبراز جمال المنطقة و استعراض سباق الخيل و الجمال في يوم عرس للأجانب و حثهم على السياحة (Promio, 1921).

- "بسكرة و القنطرة" Biskra et El-Kantra 1922 هو الآخر فيلم، من إخراج روني مورو René Moreau الذي قام بتصوير رحلته إلى شمال إفريقيا من تونس إلى الجزائر، مبرزا فيه جمال منطقة الصحراء و حياة الناس فيها (Moreau, 1922).

- "سيزاري" Cesaree للمخرج جون كلود هوسمان Jean Claude Huisman (Huisman, 1949)، من الأفلام التي مجدت الحضارة الرومانية بالجزائر.

- "فيلم الجزائر الحديثة" (Les actualités françaises, 1946) Algérie Moderne
- "الجزائر في العمل" (Les actualités françaises, 1946,) L'Algérie au travail
- الجزائر بلد الجودة (Les actualités françaises, 1948) L'Algérie pays de la qualité
- "سيكون الحصاد جميلاً" (Le Service cinématographique Gouvernement) La moisson sera belle
- (General de l'Algérie, 1949)
- أرض الجزائر " أرض فقيرة – أرض غنية" «Terre Pauvre – Terre Riche» (Pathé-) Terre d'Algérie
- (Journal, 1951)
- تلمسان (S.C.A.,1956, ACT 5581) Tlemcen
- القصبة (S.C.A.,1957, ACT 5734) La Casbah
- الظهرة (جبال الظهرة) (SCA, 1957, N°0137)Le Dahra
- الزيبان أرض النخيل (S.C.A.,1958, N°142) Les Zibans, pays des palmes
- "مركز الجنود ببومعاد" (S.C.A., 1958, N°151) Le poste de bou maad
- "السلام في الجزائر" (S.C.A., 1958, N°161) Paix en Algérie
- مدن جديدة (S.C.A.,1959, N°0183) Cités nouvelles
- يوم في المسيلة (S.C.A.,1959, N°0188)Une journée à M'Sila
- نساء (S.C.A.,1960, N°191) Femmes
- عمل الرجل (S.C.A., 1960, N°211) Métier d'homme
- الحياة في شمال إفريقيا (1949) La vie Nord-Africaine
- " الموانئ الرئيسية في الجزائر 1947 " «Les grands ports d'Algérie 1947
- الجيش و المأساة الجزائرية ... L'armée et le drame algérien
- و غيرها من الأفلام الوثائقية الاستعمارية، أنجز أغلبها من طرف المصالح السينمائية بمساهمة الجيش العسكري الفرنسي. هي أفلام هدفها تجسيد الدعاية الفرنسية و سياسة الإعلام و التضليل للسكان الجزائريين و الفرنسيين في نفس الوقت، من خلال هذه الأفلام أرادت الإدارة الفرنسية إظهار المزايا الإيجابية للاستعمار في مختلف الميادين مثل التعليم و التربية و إحلال السلام، تقديم المساعدات في ميدان الصحة و كلها حسب ما يدعيه الاستعمار هو تجسيد "المهمة الحضارية في الجزائر"، و إبراز استقرار الأوضاع في الجزائر خاصة بعد مجازر أسبوع ماي 1945 .

2 - السينما الجزائرية النضالية

2 - 1 - تأسيس المدرسة السينمائية الجزائرية 1957

إن نشأة السينما الجزائرية جاءت كرد فعل على العمل السيكولوجي و الدعائي للاستعمار، الرامي إلى غرس لا اطمئنان في نفسية الجزائري و تحطيم قيمه، و من جهة أخرى استجابة لحاجة الثورة الجزائرية من أجل توثيقها. تعتبر السينما النضالية من بين الوسائل الإعلامية الأكثر تأثيرا التي اعتمد عليها قادة الثورة بغية مواصلة الكفاح و تحقيق الاستقلال، فهي من الناحية التاريخية، تم تأسيسها خلال فترة الثورة التحريرية، أي سنة 1957 في الولاية التاريخية الأولى، المنطقة الخامسة. بعد سنة 1954، تنبه قادة الثورة إلى مدى أهمية السينما و بالتحديد إلى الصورة الفيلمية الوثائقية كوسيلة لتجسيد معاناة الشعب و التعريف بالقضية الجزائرية خارج الوطن و مناهضة الاستعمار الفرنسي، لأجل ذلك اتصلت جبهة التحرير الوطني سنة 1955 بجمال الدين شندرلي لتكلفه بقطاع الإعلام خارج الوطن و لصالح القضية (وزناجي، 2016، ص. 117)، هذا الأخير الذي كان مصورا في مجلة " الأحداث الفرنسية " و هو يعتبر أول شخص حمل على كتفه آلة كاميرا و صوّر المجاهدين و المواطنين، تعاون سنة 1956 مع بعض الجزائريين و الأجانب لإنتاج أفلام وثائقية، لخدمة القضية الجزائرية و في إطار المدرسة السينمائية، لقيت هذه الوحدة التصويرية، و هي جماعة من المهتمين الجزائريين التي أصبحت النواة لوحدة تصوير الأفلام مطلقا على نفسها اسم مجموعة فريد Group Farid و كانت تتبع الولاية الأولى، ضمت ستة أفراد من بينهم محمد قنز، علي الجناوي، روني فوتي و جمال الدين شندرلي، ثم انضم إليهم أحمد راشدي (سعد الله، 2007، ص. 391).

هكذا برز على ساحة المعارك رجال سلاحهم الكاميرا أمثال محمد لخضر حمينة، جمال الدين شندرلي و الفرنسي روني فوتي René Vautier و بفضل هؤلاء تم فتح أول مدرسة للتكوين في مجال السينما في جبال الولاية الأولى تحت إشراف شاب من جنسية فرنسية و هو روني فوتي، تمثل دور هذا الأخير في مناهضة الاستعمار الفرنسي من خلال أفلامه الوثائقية التي صورت الوجه الآخر لفرنسا الاستعمارية و قام بالإشراف على المدرسة من حيث الإنتاج و التسيير و التنظيم و شجع الجزائريين للإنتاج السينمائي من خلال نقل خبرته السينمائية و التقنية للجزائريين الشبان، كما تمثل دوره ضمن هذه المدرسة في تصوير معارك جيش التحرير و إنتاج عدد من الأفلام الوثائقية عن الثورة الجزائرية و بذلك وضع الأسس الأولى لميلاد السينما الجزائرية بعد الاستقلال من رحم الثورة. استطاعت مصلحة السينما التابعة للثورة التحريرية من التعبير بالصورة و الصوت عن حقيقة الكفاح المسلح في الجزائر عبر سلسلة و مجموعة من الأفلام التي أنتجت بين سنوات 1957-1962 (سعيد، 2016، ص. 380).

ما زاد أهمية لهذه المدرسة الجزائرية هو التحاق مجموعة من السينمائيين الأجانب بها، على رأسهم بيار كليمون Pierre Clément، يان لوماسون Yanne Le Masson، سيسيل دي كوجيس Cécile De Cujis و ستيفان لابودوفيتش Stefan Labudovic علاوة على الدكتور بيار شولي Dr Chaulet Pierre، هذا ما يبرر وجود أسمائهم في إخراج أولى الصور في الجزائر، كما تخرج من هذه المدرسة عدد من السينمائيين الذين كان لهم فيما بعد اسم في سماء الفن السابع الجزائري بعد الاستقلال (وزناجي، 2016، ص. 117).

لعبت مدرسة التكوين السينمائي دور مهم و أساسي في تعليم الجنود الجزائريين تقنيات التصوير و المبادئ الأولية في السينما، كان الطلبة جنودا، تلقوا و صاروا عبارة عن تقنيين عملوا بدورهم على نقل صور الكفاح في الجبال، و تركيبها بعد ذلك و تجميعها في يوغسلافيا و في برلين الشرقية (سابقا) قبل أن يستشهد أغلب الطلبة في الميدان أثناء المعارك (من الشهداء السينمائيين: فاضل محمود، معمر زيتوني، عثمان مرابط، مراد بن رايس، صلاح الدين سنوسي، الغوثي مختار، عبد القادر بن حسينة، سليمان بن سمان، علي جناوي...) لم تصمد المدرسة السينمائية بدورها أكثر من أربعة أشهر، لكنها أخرجت إلى الوجود عددا من الأفلام الوثائقية الهامة، وزعت في البلدان الاشتراكية آنذاك للتعريف بالقضية الجزائرية (وزناجي، 2016، ص. 117)، و أهم الأفلام الوثائقية التي أنجزتها المدرسة سنة 1957، و صورت كفاح الشعب الجزائري من أجل الاستقلال، هي: (سعد الله، 2007، ص. 388)

- **مدرسة التكوين السينمائي:** التعريف بالمدرسة من خلال تصوير واقع الجنود الجزائريين من أجل قضية استقلال الجزائر و فضح وحشية الاستعمار و إرسال ذلك إلى التلفزيونات الأجنبية.
- **ممرضات جيش التحرير:** فيلم لا يدوم أكثر من ست دقائق، أسود و أبيض، طوله 16 ملم، من إخراج جماعي، يمثل دور المرأة الممرضة في مواقع الثورة.
- **جيش التحرير الوطني:** صوّر مواقع جيش التحرير الوطني بالجبال، من إعداد جمال الدين شندرلي، و هو من مواليد عنابة سنة 1924، ابن أخت الطاهر حناش، تعلم منه الكثير وعمل معه في أول فيلم جزائري «غطاس الصحراء» سنة 1952 ساعده في المجال التقني، ثم تكوّن من خلال دراسته، وعمل في عدة صحف باريسية، في سنة 1947 كان أول من قدم "روبورتاجا" مصورا عن مناسك الحج نشر بجريدة «باري ماتش» Paris Match، كما عمل مراسلا في عدة أماكن، وبعد سنة 1954، انضم إلى صفوف الثورة بوهان، حيث نقل وقائع و صور من جرائم و اعتداءات و ممارسات العدو، بعث بالفيلم لأخيه عبد القادر شندرلي ممثل الحكومة المؤقتة بهيئة الأمم المتحدة، أشرف شندرلي على بعض الأفلام منها «جزائرنا» و «صوت الشعب» و «ياسمينة».

- الهجوم على مناجم الونزة: من إخراج طلبة مركز التكوين السينمائي، فيلم تسجيلي بالأسود و الأبيض، يصور إحدى عمليات جيش التحرير على مناجم الحديد و الصلب التي كان يستغلها الاستعمار في الشرق الجزائري، يعطي هذا الفيلم فكرة عن الحرب التي يقوم بها جيش التحرير ضد اقتصاد العدو.

إن لأسباب مختلفة منها انعدام الوسائل المادية و السينماتوغرافيا و انعدام الخبرة في هذا الميدان إضافة إلى قمع الاستعمار الفرنسي في الجزائر خاصة منذ سنة 1958، دفع بمصلحة السينما الانتقال إلى تونس، و ألحقت مصلحة السينما الوطنية بوزارة الداخلية في الحكومة المؤقتة الجزائرية، و في نفس الوقت و انطلاقا من الصور التي التقطها سرا علي الجناوي و روني فوتي أخرج هذا الأخير فيلم عنوانه *الجزائر تلتهب*، وعندما تأكدت الحكومة المؤقتة من فائدة الرسالة الثورية للعمل السينمائي، قررت إرسال بعثة إلى الخارج ليتكثروا فيها، وكان على الحكومة أيضا أن توفر الوثائق والصور المعبرة لتقنع و تكسب الرأي العام لصالح القضية الجزائرية، و تقاوم بها الدعاية الاستعمارية (سعد الله، 2007، ص. 392). هكذا نجد أن السينما في الجزائر ولدت و معها عوامل حيويتها كفن إنساني ملتزم بقضايا الناس و الوطن، و قد حرصت على أن تحفظ أشرطتها في أماكن مأمونة، و كان لا بد في هذه المرحلة من جمع الأفلام خارج البلاد، فهربت النسخ السلبية للأفلام المصورة و جمعت في يوغوسلافيا و ثائق مصلحة السينما التابعة لجيش التحرير الوطني و مصلحة السينما التابعة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (الكسان، 1982، ص. 217-218).

2 - 2 - نماذج من الأفلام الوثائقية الجزائرية 1957-1962

أرسلت جبهة التحرير الوطني شبانا جزائريين ليتكثروا بالخارج في مجال السينما و لدى بعض الدول الاشتراكية الصديقة مثل يوغسلافيا، ألمانيا الشرقية و تشيكوسلوفاكيا، كان منهم محمد لخضر حمينة و أحمد راشدي و غيرهم، لتشرع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في إنشاء مصلحة خاصة بالسينما الجزائرية ثم مصلحة السينما التابعة لجيش التحرير الوطني (وزناجي، 2016، ص. 117).

لقد كان "سينمائي" الثورة دور هام في تصوير أحداث و مواقع حرب التحرير الجزائرية على الحدود التونسية و تسليمها للدول الأوروبية و العربية و تزويدهم بالوثيقة الفيلمية من أجل إعداد حصص حول الحرب الدامية في الجزائر.

للإشارة هناك أفلام وثائقية ساندت القضية الجزائرية و تعتبر من الأفلام المناهضة للاستعمار الفرنسي مثل فيلم "إفريقيا 50" Afrique 50 لروني فوتي، تعرض من خلاله إلى السجن لمدة سنتين و فيلم "التمثيل

تموت أيضا " Les statues meurent aussi" تم انجازه سنة 1953، هذا و قد أنجز روني فوتيي سنة 1955 أول فيلم تطرق فيه إلى القضية الجزائرية و مطلبها من أجل الحرية و الاستقلال و ضرورة تكوين أمة مستقلة ذات سيادة وطنية، عنوانه " الجزائر أمة " Algérie une nation.

إضافة إلى انجاز عددا من الأفلام الوثائقية في إطار المدرسة السينمائية الجزائرية سنة 1957 و بمساهمة طلابها و المشرفون عليها، تلاها عدد آخر من الأفلام التي أنتجت قبل و بعد تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (علما أن المدرسة السينمائية الجزائرية استمرت فقط 04 أشهر)، و كلها أفلام جزائرية نضالية أنتجت في تلك الحقبة التاريخية بين سنوات 1957-1962 و هي :

2 - 2 - 1 - اللاجئين *Les réfugiés* 1957

من إخراج سيسيل دي كوجيس Cécile De Cujis، بين الوجه الحقيقي للاستعمار و فضح سياسته القمعية، ثم عرضه على شاشات تلفزيون الدول الاشتراكية، مدته 14د.، سبب هذا العمل، الذي أنتجته المخرجة لحسابها الخاص بالتعاون مع مصالح جيش التحرير الوطني، بسجنها لمدة سنتين في فرنسا. يروي هذا الفيلم عملية تهجير الجزائريين و نفيهم إلى المحتشدات الواقعة على الحدود الجزائرية التونسية، حيث صورت المخرجة خروج الأسر و العائلات الجزائرية من سكانهم هروبا للحدود التونسية و فرارهم من بطش و وحشية العدو، نتج عنه قتل الرجال و الشباب و تدمير كل مقومات الحياة و سبلها أمامهم (Maherzi, 1980, P. P. 63-64).

2 - 2 - 2 - فيلم الجزائر الملتهبة *1958 Algérie en Flammes*

من إنتاج روني فوتيي، ولد هذا الأخير يوم 15 جانفي 1928 بفرنسا أكمل دراسته الثانوية ثم دخل معهد الدراسات العليا للسنماتوغرافيا IDHEC، تخرج منها كمتفوق الدفعة سنة 1948 شعبة الإخراج. انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1950 و أنتج أول فيلم " إفريقيا الخمسينات 50 Afrique بطلب من رابطة التعليم الفرنسية للترويج بالمهمة التربوية الفرنسية الحضارية في مستعمراتها و أثناء التصوير شهد شهادة غير منتظرة عن الواقع المر الذي تعيشه المستعمرات الفرنسية، لكن كلفه ذلك مصادرة فلمه و منعه من العرض لمدة أربع سنوات في قاعات السينما. يعتبر هذا العمل السينمائي أول فيلم ضد سياسة فرنسا في المستعمرات (إنها السينما الملتزمة) فاتهم بـ 13 تهمة و حكم عليه بالسجن حيث أدخل السجن العسكري L'école Saint-Maixent، خرج منه سنة 1952 و بعدها مباشرة نال فيلمه الميدالية الذهبية في مهرجان فرسوفيا ببولونيا. دخل روني فوتيي الجزائر سنة 1956 و التحق بمعامل المجاهدين الجزائريين في الأوراس والحدود التونسية، أين قابل

عبّان رمضان و رخص له بتصوير جيش التحرير الوطني و منه أنتج فيلم "الجزائر تلتهب" و أفلاما أخرى . بعد استقلال الجزائر عيّن أول مسؤول عن الجهاز السمعي البصري في الجزائر بين 1965 - 1962 و منح منصب الأمين العام للسينما الشعبية، من إنجازاته السينمائية بعد الاستقلال *Peuple en marche* سنة 1963 و الفيلم المشهور *Avoir vingt ans dans les Aurés* (سعدي، 2016، ص. 381).

يعتبر فيلم الجزائر الملتهبة، فيلما وثائقيا أو تسجيليا ناطقا بالفرنسية، مدته 25 دقيقة، ركبت صورته في برلين الشرقية و عرض في الدول الأوروبية، عرّف بالثورة التحريرية و صور الحياة اليومية للمجاهدين في المخابئ السرية بالجبال و في معارك ضد العدو، يرافقه صوت روني فوتي و يعلق على سير الأحداث و أبعاد الحرب (Vautier, 1958)، تم إنتاج ثلاث نسخ من الجزائر الملتهبة الفرنسية و الألمانية و العربية.

استعرض روني فوتي في هذا الفيلم الوثائقي مراحل نضال المجتمع الجزائري، و هو يواجه القمع العسكري الفرنسي، تعتمد المخرج الوقوف عند أكثر من صورة للمقاومة (Vautier, 1958)، كانت المقاومة المسلحة حاضرة بقوة، تعقبها المقاومة الثقافية التعليمية و الاقتصادية و الاجتماعية التي احتضنت الثورة و رعتها، ومدتها بالطعام و الشراب و المأوى... و من أهم الحقائق التاريخية التي نستخلصها من خلال هذا الفيلم ما يلي: (عياد، 2019، ص. 277)

- "الأوضاع الاجتماعية التي تعيشها الجزائر إبان الخمسينيات من الفقر، البطالة، الجوع، هجرة الجزائريين، الحرمان، التشريد، التعذيب، الاضطهاد و قسوة المعيشة و اغتصاب فرنسا الاستعمارية للأراضي الزراعية....
- القصف الجوي للاستعمار بعد هدوء و الأمان الذي كان يعيشه السكان الجزائري.
- يبرز الفيلم التفاف جماعي حول الطعام الذي له بعده الديني، و مدى التحام أفراد العائلة وتكاتفهم في تحقيق الاكتفاء المعيشي، فأوكلت للرجال مهمة ترتيب و تعديل المنزل و النساء يحضرن الطعام و رعاية الأطفال، هذا إشارة إلى وجود مجتمع قائم على تقاليد و أعرافه الخاصة به، و على أن الحياة مستمرة في أوساط الشعب الجزائري الذي احتضن الثورة و التف حول الراية الوطنية.
- وضعية القرى والأرياف الجزائرية و خدمة الفلاح لأرضه.
- دور ممرضات جيش التحرير الوطني و معالجة الأطفال و تقديم النصائح للنساء، و حالة الجنود الجزائريين و هم يتعلمون فيما بينهم بعد التحاق الطلبة بالثورة .
- التضامن المغربي ضد الاستعمار الفرنسي (تونس، المغرب الأقصى) و انتشار موجة التحرر في العالم العربي (عياد، 2019، ص. 277 إلى 283).

2 - 2 - 3 - ساقية سيدي يوسف 1958 Sakiet Sidi Youcef

من إنتاج مصلحة السينما لجبهة التحرير، باللون الأسود و الأبيض، مدته 15 دقيقة، باللغة الفرنسية و الإنجليزية، أخرجه بيار كليمون و روني فوتيي، يصور قصف الطيران الفرنسي لساقية سيدي يوسف و ما نتج عنه من تدمير و ضحايا و خرق للقانون الدولي، مخلفا بهذا قتلى و جرحى و خراب شامل للمنشآت والمباني(سعد الله، 2007، ص. 389).

2 - 2 - 4 - جزائرونا 1959 Djazairouna

من إخراج لخضر حمينة و جمال شندرلي، اللذان اعتمدا في تصويرهما على صور أرشيفية الملتقطة في المعارك من فيلم " الجزائر أمة " سنة 1955 لروني فوتيي و الصور التي سجلها جمال شندرلي في مواقع تواجد جبهة و جيش التحرير في الشرق الجزائري و بالأخص صور للسينمائي ستيفان لابودوفيش. يعتبر هذا الفيلم، حسب المؤرخين في مجال السينما، ذو قيمة تاريخية كبيرة نظرا للوثائق السمعية البصرية التي صورت واقع الثورة مباشرة و معاناة الشعب الجزائري و الذي تم عرضه سنة 1960 - 1961 في هيئة الأمم المتحدة(سعد الله، 2007، ص. 108).

2 - 2 - 5 - بنادق الحرية 1962 Les fusils de la Liberté

من إنتاج مصلحة السينما للحكومة المؤقتة، مدته 20 دقيقة، وطوله 35 ملم، جمع بين التوثيق و الخيال، أخرجه جمال شندرلي و لخضر حمينة، موضوعه مسيرة قافلة جيش التحرير الوطني، المحملة بالأسلحة و الذخيرة، التي تم تهريبها من ليبيا وتونس عبر الصحراء على ظهور الجمال و المشاكل الناتجة عن ذلك(Maherzi, 1980, P. P. 63-64).

2 - 2 - 6 - عمري ثماني سنوات 1961 J'ai huit ans

أنتجته لجنة موريس أودان، مدته تسعة دقائق، أخرجه يان لوماسون Yann Le Masson و أولغا بولياكوف Olga Poliakoff باشتراك مع روني فوتيي، كله من تصوير و تركيب غير جزائري، مرجعه الرسوم التي قام بها الأطفال عن الحرب في مخيمات اللاجئين بتونس، أطفالا كانوا شاهدين على ما فعله الاستعمار الفرنسي من التدمير و إلقاء القنابل و القمع ... (Le Masson Yann et Poliakoff Olga, 1961).

2 - 2 - 7 صوت الشعب 1961 La voix du peuple

أنتجته مصلحة السينما التابعة للحكومة المؤقتة، وهو من النوع الوثائقي، أسود وأبيض، مدته 20 دقيقة، من إخراج جمال شندرلي و لخضر حمينة، أدمجت مادته مع مادة فيلم جزائرننا ليصبح فيلما باسم الشعب، الذي بدأ المعركة قبل 1954، يمثل عرضا تاريخيا من خلال تركيب حديث، يصور النشاط السياسي و العسكري لجيش التحرير الوطني بما فيه مظاهرات 11 ديسمبر 1960 و كذا عملية تفجير قاعدة عسكرية على الحدود الجزائرية التونسية(سعد الله، 2007، ص. ص. 389-).

2 - 2 - 8 - ياسمينه Yasmina سنة 1960-1961

وهو الفيلم الوحيد، حسب النقاد - الذي اعتمد على قصة، و لكنه لم يبتعد عن خصائص الوثيقة، يمثل بداية الفيلم الروائي الجزائري في عهد الثورة، قال فيه وزير الإعلام في الحكومة المؤقتة محمد يزيد بأن ياسمينه فيلم يخاطب القلب أما فيلم جزائرننا يخاطب العقل، وقد أخرجه جمال شندرلي و لخضر حمينة بناء على قصة طفلة جزائرية يتيمه، فقدت أبويها بعد تدمير قريتها و منزلها من طرف السلطات الاستعمارية. من خلال قصتها نعرف قصة جميع اللاجئين الجزائريين الذين أرغموا على مغادرة بلادهم للعيش في معسكرات داخل الحدود التونسية، و هو باللون الأسود و الأبيض، يرجع إلى الفترة 1960 - 1961، مدته 20 دقيقة(سعد الله، 2007، ص. 390). يعتبر محمد لخضر حمينة مخرج جزائري، ممثل وكاتب حوار سينمائي، من مواليد 26 فبراير 1934 في مدينة المسيلة بالجزائر. تابع دراسته في فرنسا، ثم غادرها إلى تونس أثناء الثورة الجزائرية، حيث كان يعمل لصالح الحكومة المؤقتة، صاحب فيلم المتوج بجائزة السعفة الذهبية في مهرجان " كان " عنوانه وقائع سنين الجمر سنة 1975، و من أفلامه الثورية ربح الأوراس سنة 1966.

جمع فيلم ياسمينه بين الحقيقة و الخيال، تمثل هذه الفتاة فيه رمزا لكل الأطفال الجزائريين، عانت من ويلات الحرب التي كانت ضحيتها، و سعت للهروب مع عائلتها و دجاجتها الخائفة من قوات الاستعمار عبر الحدود (Mohamed Lakhdar-Hamina et Djamel Chanderli, 1960)، يسلط الفيلم الضوء على الحالة البسيكودرامية لياسمينه، إذ تقول في مقطع من الفيلم: « أبي مات، بدون صراخ، لم أبك، و لست خائفة... »، فالطفلة البالغة من العمر سبعة سنوات تحمل معها دجاجة في طريق طويل إلى الحدود التونسية هاربة من جحيم الاستعمار، قال عنها رشيد بوجدره: « إن صورة الطفلة و معاناتها صورة تعكس حقيقة معاناة الشعب الجزائري الهارب من القمع و التقتيل الاستعماري، و يعكس كذلك معيشة الأطفال الجزائريين في وسط الحرب و الجوع و الحرمان، إلا أنه بالرغم من التعب و الإرهاق و الجروح بسبب الطريق الطويل، ياسمينه

مازلت لم تفقد البسمة و الأمل، و هي تبتسم في كل مرة عبر مراحل تطور قضية الفيلم، وهذا يعكس مسيرة شعب الذي لم يفقد الأمل في الوصول إلى الحرية و الاستقلال» (إرشن، 2011، ص. 99).

2 - 2 - 9 - خمسة رجال و شعب *Cinq hommes et un peuple* سنة 1962

فيلم بالألوان من النوع الوثائقي، مدته 43 دقيقة، أخرجه و صوره و ركبه روني فوتيبي، صورت الكاميرا الزعماء الخمسة: احمد بن بلة، محمد بوضياف، حسين آيت أحمد، محمد خيضر، رايح بيطاط، بعد إطلاق سراحهم عند وقف القتال 19 مارس 1962 (سعد الله، 2007، ص. 398).

كما كان توثيق الثورة الجزائرية محل اهتمام بعض المخرجين السينمائيين من دول أجنبية عربية و أوروبية، ساندت القضية الجزائرية و تضامنت مع الشعب الجزائري من خلال إنجاز عددا من الأفلام نذكر منها:

2 - 2 - 10 - فيلم " أكتوبر في باريس " *Octobre A Paris* سنة 1962

من إعداد و إخراج "جاك بانيجل" Jacques PANIJEL، و بمساعدة و مساهمة جمعية أودان و فيدرالية المجاهدين بفرنسا، خصّصه لمظاهرات 17 أكتوبر 1961، سجّل هذا الفيلم الوثائقي الأحداث الدامية و القمعية التي جرت في باريس إثر خروج الجزائريين في مظاهرات سلمية سنة 1961، يعرض فيه صوراً لجماهير المتظاهرين الجزائريين و الأجانب المساندين للقضية الجزائرية، أظهر فيه مخرجه جرائم الفرنسيين في حق الجزائريين من قبل شرطة باريس تحت إمرة موريس بابون، المتمثل في القمع الوحشي و التعسفي و القتل و رمي جثث الضحايا إلى نهر السان من قبل شرطة باريس (إرشن، 2011، ص. 100).

حاول روني فوتيبي سنة 1972 الحصول على تأشيرة لاستغلال الشريط الذي أنجزه PANIJEL Jacques أكتوبر في باريس، فقبول طلبه بالرفض، و بعد سنة (1973)، باشر إضرابا عن الطعام جراء الرقابة السينمائية التي فرضها بعض السياسيين، و بعد مساندة قوية من قبل شخصيات نافذة في الحقل الإعلامي و السياسي، أجيبت دعوته من قبل وزير الثقافة، فوضع حدا لإضرابه بعد 31 يوم من الجوع، و في سنة 2011 تم عرض الفيلم الوثائقي (سعيد، 2016، ص. 381).

2 - 2 - 11 - لنذهب يا أطفال... للجزائر 1962 Allons enfants... pour l'Algérie

أخرجه كارل جاس Karl Gass تم تصويره على الحدود التونسية الجزائرية، تطرق في الجزء الأول من الفيلم إلى الثورة الجزائرية و ظروفها و فضح فيه الأساليب القمعية للاستعمار الفرنسي، أما في الجزء الثاني تحدث عن الممرضة "عائشة" و دورها في مخيمات اللاجئين الجزائريين على الحدود التونسية الجزائرية و الأثر المأساوي للحرب على الأطفال و العائلات و اللاجئين، أما الجزء الثالث من الفيلم فخصصه إلى مجموعة من المجاهدين في صفوف جيش التحرير، الذين حاولوا اختراق خط شال المكهرب الذي أقامه الاستعمار الفرنسي في الحدود الجزائرية (Gass, 1961).

2 - 2 - 12 - فيلم الهروب من الجحيم 1960 La fuite de l'enfer

من إخراج هانس إريك كوربشميت Hans Erick Korbschmit، قصته حول جندي ألماني كلف بالقضاء على عائلة جزائرية، لكن تراجع عن الأمر و لم يطبق ذلك، و قام بإيصالها إلى تونس و العودة إلى جمهورية ألمانيا الديمقراطية (إرشن، 2011، ص. 105).

فيلم جميلة الجزائرية سنة 1958

من إخراج يوسف شهين، و هو فيلم تاريخي روائي، تطرق فيه إلى المأساة و المعاناة التي عاشتها المناضلة جميلة بوحيرد من التعذيب منذ اللحظة الأولى من اعتقالها و نضال الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.

2 - 2 - 13 - عيد الأمل La fête de l'espoir سنة 1962

فيلم وثائقي من إخراج كريستو غانيف GANEV Cristo تم تصوير الحياة الاجتماعية للجزائريين و معاناتهم من الاضطهاد الفرنسي و نهاية 132 عاما من الوجود الفرنسي في الجزائر، هذا ما عبر عليه مخرج الفيلم " انتهاء 130 سنة من العبودية الاستعمارية " « 130 ans d'esclavage colonial » ، كما صور فيه الاحتفالات في الشوارع الجزائرية و فرحة الشعب الجزائري بالاستقلال سنة 1962 (Ganev, 1962).

3 - أهمية الفيلم الوثائقي في كتابة تاريخ الثورة التحريرية

جاءت هذه الأفلام الوثائقية الثورية في إطار تجسيد إستراتيجية مسؤولي تنظيم جبهة التحرير الوطني من أجل الاستقلال و هي صرخة في وجه العدو، و قد تم تنفيذ تلك الإستراتيجية عن طريق تصوير بعض الوقائع بطريقة ثابتة، ثم إعادة عرضها عن طريق الشريط السينمائي، و كذا تسجيل الأحداث اليومية للمجاهدين و المعارك التي قاموا بها ضد العدو، و من بين العروض التسجيلية التي بدأت لحظة اندلاع الثورة هو تصوير بيان أول نوفمبر مكتوبا على الشاشة، مرفوقا بتوضيحات من بعض المجاهدين (جدي، 2009، ص.ص 103-104).

لقد ساهم سينمائيو الثورة من أجل التحرير و الاستقلال في تطوير الإستراتيجية الإعلامية لجبهة التحرير الوطني إبان الثورة الجزائرية، قام هؤلاء بإنتاج أفلام وثائقية و روائية في أغلبها أفلام قصيرة وثائقية، تعتبر من أهم الوثائق السمعية البصرية الأرشيفية التي سجلت أحداث حرب التحرير الجزائرية، و بهذا فهي شكلت الصورة الحقيقية عن الأوضاع في الجزائر خلال تلك الحقبة التاريخية (إرشن، 2011، ص. 100). في هذا الصدد تم عرض فلمي "جزائرننا" و "ياسمينة" في الأمم المتحدة، و لأول مرة كان الغرض من وراء إنجاز و عرض تلك الأفلام هو إعلام و تحسيس الرأي العام العالمي بحقيقة الوضع في الجزائر و كسب تأييده (وزناجي، 2016، ص.ص 118-119).

إن سينما الثورة ميدان جديد في الإبداع و الإعلام، تولاه الجزائريون و الأجانب، في ظروف صعبة تميزت بقلّة الخبرة و نقص المال و غياب الأمن و ندرة التأليف، أما الموضوع فهو تقريبا دائما نفسه و هو الثورة بكل جوانبها و أبعادها و خلفياتها الميدانية و الإنسانية، و من الملاحظ أن بعض الأفلام كانت قد وضعت على أساس إيديولوجي، و أن معظمها كان بالأسود و الأبيض، و هي أفلام وثائقية بدرجة أولى كان الهدف منها خدمة الثورة كوسيلة إعلامية أو إعلامية مضادة للدعاية الفرنسية (سعد الله، 2007، ص. 386) و وسيلة للتوثيق المرئي المسموع لظروف الحرب التحريرية 1954-1962.

بدأت الصورة السينمائية رحلتها التوثيقية بالجزائر موازاة مع اتساع نطاق الثورة و حاجتها للتعبير عن نفسها باعتبارها قضية شعب يتوق لملامسة حريته المغتصبة و حقوقه المهضومة، و كان " روني فوتي " أول من استخدم الكاميرا كأداة توثيقية للثورة، إلى جانب هذا فقد شكلت محاولات بعض السينمائيين الجزائريين من الرعيل الأول مدونة توثيقية لمسارات الثورة الجزائرية، لاسيما بالولاية الأولى، و قد ركزت تلك الأعمال على نشاط جيش التحرير، وذلك من خلال إنجاز أكبر عدد من الأشرطة الوثائقية المؤسسة على وقائع عينية من يوميات الثورة، و التزويد بصور حول حياة الجزائريين إبان كفاح جيش التحرير، كما ساهمت السينما النضالية

في إعادة بناء الشخصية الجزائرية من خلال مواضيع التي تناولتها الأفلام و تمجيد الثورة المسلحة و أحداثها و تخليد بطولات الشعب و كل ذلك من أجل التوثيق لها (الصهب، 2017، ص.ص. 124 - 125).

تمثلت مواضيع الأفلام التي أنتجت في تلك السنوات 1957-1962 كفاح الشعب الجزائري و تضحياته من أجل الحرية و نقلت ويلات الاستعمار و بطشه، و ساهم القرب الزمني للثورة و استمرار تأثيرها على الناس من إنتاج مجموعة من الأفلام التي لا تزال تشكل العلامات البارزة في مسار هذه السينما (سعيد، 2016، ص.381)، و ما ميز هذه الأخيرة أن الأفلام التي أنجزت كان فيها الشعب الجزائري يواصل كفاحه المسلح من أجل التحرير الوطني و الاستقلال و لا يخفى أن هذه الأفلام صورت و أنجزت في ظروف صعبة جدا و بوسائل مادية محدودة و على أيدي سينمائيين تنقصهم التجربة و لكنها كانت بحق شهادة هامة و برهانا ملموسا على تلك المرحلة التاريخية (الكسان، 1982، ص. 218).

إن الأفلام الأولى كانت وثائقية قصيرة، ومعظمها كانت ترصد الواقع الجزائري و أحداث التاريخ و قدمت عنه صورة للرأي العام العالمي من تصوير حرائق القرى و المدن و تسجيل ما ارتكبه السلطات الاستعمارية من فظائع ضد السكان المجريين من السلاح و معارك جيش التحرير الوطني، و معاناة الشعب الجزائري في صراعه اليومي مع السلطات الاستعمارية الفرنسية، اعتمدت هذه الأفلام على شهود عيان و على ما حدث للاجئين الجزائريين في الحدود التونسية الجزائرية (المعاناة، الفقر، الخوف...)، و ما قام به جيش التحرير الوطني من عمليات عسكرية وغيرها. و أفلام من هذا النوع لا يتوقع منها توخي الجمالية و الفن في ظل الخوف و السرية الذي كانت تعيشه الثورة التحريرية، و لم يهتم المصورون لهذه الأفلام إلا بالصورة المباشرة وابتعدوا عن الرموز والغموض، إن السينما الجزائرية الثورية ولدت في الجبال وجسدت أحداث الثورة (سعد الله، 2007، ص. 387). إن ما جمعه هؤلاء السينمائيين من المناظر و المشاهدات لفعاليات الثورة المسلحة يعتبر أول إنتاج سينمائي جزائري و هو بمثابة وثائق و أرشيف فيلمي ذو طابع وثائقي يسمح بكتابة التاريخ الثوري، و رغم قلتها مقارنة بعدد الأفلام الاستعمارية من حيث العدد و من حيث النوعية و لكن هذا الأسلوب الذي سجلت به السينما النضالية الأحداث وركبت به الصور الفيلمية لم يفقده القيمة الوثائقية.

خاتمة

رغم الظروف الصعبة التي كان يعيشها مسؤولي الثورة التحريرية و قمع الاستعمار و محاصرته للمجاهدين و المراقبة المستمرة، إضافة إلى نقص الوسائل و المعدات من أجل التصوير و انعدام المعرفة في المجال السينمائي، هذا لم يمنع السينما النضالية الجزائرية من إنجاز مجموعة من الأفلام الوثائقية، و رغم

عدها القليل مقارنة بأفلام السينما الكولونيالية، فقد كان لها صدى كبير على المستوى الدولي في التعريف بالقضية الجزائرية و معاناة و آلام الشعب الجزائري، و من خلال دراستنا لهذا الموضوع توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- إن نشأة السينما الجزائرية كانت توثيقية، فهي صورت كفاح و نضال الشعب الجزائري و معارك جيش التحرير الوطني و فضحت الأعمال الإجرامية للاستعمار، و نقلت واقع الحياة اليومية للشعب الجزائري الذي كان يعيش في الفقر و الحرمان، و يوميات المجاهدين للعالم في مواقع القتال.
 - إن الأفلام الوثائقية الجزائرية عبارة عن تصوير حقيقي و مباشر للحرب بين جيش التحرير الوطني و الاستعمار الفرنسي، فرغم أنها تنقد إلى الخصائص السينمائية و القواعد الفنية المرتبطة بها، لكنها تميزت بقيم إيديولوجية ثورية من خلال تصوير واقع ملموس لقمع و وحشية السلطات الاستعمارية و لواقع نضال الشعب الجزائري و مسيرة العمل الثوري عن قرب و توثيق كفاح الحرب في ساحة القتال، و بهذا تعتبر هذه الأفلام الوثائقية شهادة تاريخية ليست مكتوبة أو شفوية و إنما سمعية بصرية عن طريق الصوت و الصورة، و هي وثائق مهمة لكتابة تاريخ الثورة الجزائرية و حفظ ذاكرة الأمة.
 - قدمت هذه الأفلام فكرة حول الجو العام لحياة المجاهدين و الشعب الجزائري رجاله و نساءه و أطفاله و التعايش بين الفئتين رغم الظروف الصعبة للحرب و سيطرة الاستعمار الفرنسي و وجوده في كل مكان.
 - لعبت السينما النضالية الجزائرية دور مهم في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي، يظهر من خلال دور سينمائيو الثورة في جمع وثائق مصورة و مسموعة و هي عبارة عن أرشيف أساسي لتوثيق الثورة المباركة.
 - تعتبر هذه الأفلام وثائق أرشيفية سمعية بصرية مهمة استخدمت لأغراض دعائية معينة، لكنها أبرزت الواقع المعاش للجزائريين و صورت لنا الجانب الثوري و الاجتماعي أثناء فترة الاستعمار.
- إن الصورة الفيلمية بهذا المعنى هي مصدر مهم من مصادر البحث التاريخي، و بفضل هذه الوثائق السمعية البصرية يمكننا كتابة تاريخ الجزائر 1954-1962 و ذلك بعد عملية النقد و التحليل لتلك الأفلام الوثائقية و التأكد من صحتها، لأن استغلال هذا الموروث السمعي البصري هو مساهمة في توثيق تاريخ الجزائر و الذاكرة الجماعية.

4 - الإحالات و قائمة المراجع

• الأرشيف السمعي البصري

1 - أفلام وثائقية ثورية جزائرية

- Christo GANEV,(1962), « **La fête de l'espoir** », www.youtube.com/watch?v=4WUHTXFAXc4.
- Karl Gass, (1961), « **Allons enfants... pour l'Algérie** », www.facebook.com/ArchivesNumeriquesDuCinemaAlgerien/posts/2932180453462915/
- Mohamed- Lakhdar Hamina et Djamel Chanderli, (1960), "Yasmina", <https://www.facebook.com/watch/?v=2112643408749961>.
- Jacques PANIJEL, (1961), « **Octobre à Paris** », <https://www.youtube.com/watch?v=YQ2HD4ml4Hk>
- POLIAKOFF Olga et Le Masson Yann, (1961), « **J'ai Huit ans** », www.youtube.com/watch?v=6f.
- René Vautier, (1950), « **Afrique 50** », <https://www.youtube.com/watch?v=DsB1x7-y7bI>
- René Vautier, (1958), « **Algérie en flammes** », www.youtube.com/watch?v=5-OqZX0XP2w.

2 - أفلام وثائقية استعمارية فرنسية

- Jean Claude Huisman, (1949), **Césarée**, www.youtube.com/watch?v=h-j4LKFfyIE.
- Le Service cinématographique Gouvernement General de l'Algérie, (1949), **La Moisson sera belle**, www.youtube.com/watch?v=iFPyNIM4f4o
- Les actualités françaises, (1946), **Algérie Moderne**, www.youtube.com/watch?v=3MbpV4gSyKc&t=203s
- Les actualités françaises, (1946), **L'Algérie au travail**, www.youtube.com/watch?v=e4tK1Oovers&t=60s
- Les actualités françaises, (1948), **L'Algérie pays de la qualité**, www.youtube.com/watch?v=f9gXsr5FCsE&t=5s
- René Moreau, (1922), **Biskra et El Kantara**, www.youtube.com/watch?v=tUoscJ1q-Z4&pp=ygUNUmVuw6kgTW9yZWf1IA%3D%3D
- Pathé- Journal, (1951), **Terre d'Algérie « Terre Pauvre-Terre Riche** », www.youtube.com/watch?v=iGoDy-DK5M&t=8s
- Alexandre Promio, (1921), **Mecheria**, www.youtube.com/watch?v=-HWbOxGB1m0
- S.C.A. Algérie, (1956), **Tlemcen**, ACT 5581
- S.C.A. Algérie, (1957), **La Casbah**, ACT 5734
- S.C.A. Algérie, (1957), **L'armée et le drame algérien**, N°119.
- S.C.A. Algérie, (1957), **Le DAHRA**, N° 0137.
- S.C.A. Algérie (service cinématographique de l'armée française en Algérie), (1958), **Paix en Algérie**, N° 161, www.youtube.com/watch?v=Zmd_qMO2vPY
- S.C.A. Algérie, (1958), **Poste de boumaad**, N° 151, www.youtube.com/watch?v=4Hc733yxoQ8
- S.C.A. Algérie, (1959), **Cités nouvelles**, N° 0183
- S.C.A. Algérie, (1959), **Une journée à M'Sila**, N° 0188.
- S.C.A. Algérie, (1960), **Femmes**, N°191
- S.C.A. Algérie, (1958), **Les Zibans, pays des palmes**, N° 142.

• المؤلفات باللغة العربية:

- أوفد رهايدي باتريشيا، (2013)، الفيلم الوثائقي مقدمة قصيرة جدا، ترجمة شيماء طه الريدي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط.1.
- جان الكسان، (1982)، (السينما في الوطن العربي، عالم المعرفة، الكويت.
- حسن علي قاسم، (2019)، إنتاج المواد السمعبصرية الأسس العلمية والمهنية، العربي للنشر و التوزيع.
- دوني سباستيان، (2013)، السينما و حرب الجزائر دعاية على الشاشة من أصول النزاع المسلح إلى إعلان الاستقلال 1945-1962، تر. يوسف بعلوج و هاجر قويدري، دار سيديا في الجزائر و العالم العربي.
- سعد الله أبو القاسم، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الخامس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- سعد الله أبو القاسم، (2007)، تاريخ الجزائر الثقافي 1954 - 1962، الجزء العاشر، دار البصائر، الجزائر.
- منال أبو الحسن، (2015)، السينما التسجيلية: علم وفن، تدريب وممارسة، دار النشر للجامعات المنهل.
- منى سعيد حديدي، (1982)، الفيلم التسجيلي: تعريفه، اتجاهاته و أسس و قواعده، دار الفكر العربي.

• المؤلفات باللغة الأجنبية:

- Lotfi MAHERZI, (1980), **Le Cinéma Algérien Institutions, Imaginaire, Idéologie**, Société Nationale d'Édition et de Diffusion, Alger.
- Abdelghani MEGHERBI, (1982), **Les Algériens au miroir du cinéma colonial**, Editions S.N.E.D., Alger.

• الأطروحات:

- بن عمر غمشي، (2018-2019)، «واقع التقنيات السينمائية في الفيلم الجزائري دراسة تطبيقية ميدانية»، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، قسم الفنون، جامعة وهران أحمد بن بلة، الجزائر.
- عبد الغني إرشن، (2010-2011)، «رهانات الصورة الفيلمية الوثائقية في صراع الذاكرة بين الجزائر و فرنسا تحليل سيميولوجي لفيلمي "سينمائيو الحرية" و "العدو الحميم"»، شهادة الماجستير، قسم علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر 3، الجزائر.
- قدور جدي، (2015-2016)، «الثورة التحريرية في السينما الجزائرية دراسة تحليلية نقدية»، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، قسم الفنون، جامعة وهران، الجزائر.

• المقالات:

- بتقة سليم، (2012)، المتخيل الكولونيالي من وهم المكتوب إلى زيف المرئي المضمّر و المنظور، مجلة المخبر، العدد الثامن، ص.ص. 9-19.

- بن جلولي عبد الحفيظ، (2016)، قراءة في « فضاءات السينما الجزائرية » و نظرة بانورامية على تاريخها، جريدة القدس العربي، العدد 8349، الموقع <https://www.alquds.co.uk/>

- سعدي مزيان، (2016)، رونييه فوتيه السينمائي الذي خدم الثورة الجزائرية، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 28، ص.ص. 379-394.

- عماري علال و رأس المال عيسى، (2016)، الخطاب السينمائي الكولونيالي في الجزائر بين الواقع و الايدولوجيا، مجلة دراسات و أبحاث، العدد 24، ص.ص. 84-88.

- عياد زويرة، (2019)، السينما التسجيلية وصور نضال المجتمع الجزائري، فيلم الجزائر تحترق، لروني فوتي أنموذجا، مدارات تاريخية، المجلد الأول، العدد الثاني، ص.ص. 265-285.

- كوبيبي حفصة، (2018)، الفيلم التسجيلي مقارنة مفاهيمية، مجلة الحقيقة، مجلد 17، عدد 03، ص.ص. 522-539.

- لصهب عبد القادر، (2017)، الثورة التحريرية في السينما الجزائرية قراءة في بانوراما المدونة السينمائية الجزائرية، آفاق سينمائية، العدد 04، ص.ص. 123-127.

- وزناجي مراد، (2016)، الثورة التحريرية في السينما الجزائرية... الدلالة و التأثير، مجلة آفاق سينمائية، العدد الثالث، ص.ص. 116-121.

• مواقع الانترنت باللغة العربية:

- نهلة عيسى، الأفلام الوثائقية، (2020)، من منشورات الجامعة الافتراضية السورية، 2023/01/25، 22 سا 21، متوفر في موسوعة الجامعة <https://pedia.svuonline.org/>

• مواقع الانترنت باللغة العربية:

- Institut LUMIERE, 2021, « La première séance publique payante », www.institut-lumiere.org/musee/les-freres-lumiere-et-leurs-inventions/premiere-seance.
- Michelle Aubert et Jean-Claude Seguin, 1996, « L'œuvre cinématographique des frères Lumière », <https://catalogue-lumiere.com/place-du-gouvernement/>